March 2021
Vol 3 Issue 1

Eye movement of the triliteral noun, a study in Qur'anic readings

Researcher: Khitam Salim Aljaeafira

Aljaeafira@gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000- 0003-4452-9929, DOI , PP 96-125.

Abstract: This study uses descriptive and diachronic approaches to explain the different levels of the articulated utterances in the medial position consonants of the Qur'anic readings and accounting for the short vowel insertion and vice versa. The researcher has studied the vowel insertion-deletion processes and provided evidence to see if this variation is due to sociolinguistic or just linguistic factors based upon a phonological analysis of word forms which are further investigated within the Qur'anic context. This study contains the introduction، three chapters and a conclusion.

The introduction chapter deals with the motivation for the vowel deletion in the medial position. Chapter two deals with the vowel deletion processes concerning three vowels /u/،/a/ and /i/ while the third chapter investigates the vowel insertion processes : /u/،/a/ and /i/ ،whereas the fourth chapter provides an analysis for the variation patterns observed at different levels : /i/ and/u/، /u/ and /a/، /a/and /i/. Results are shown and discussed in chapter four.

Keywords: Movement, The Triple Name, Quranic Readings.

حَرَكَةُ عَيْنِ الاسْمِ الثُّلاثِيِّ، دِرَاسَةٌ فِي الْقِرَاءاتِ الْقُرآنيّة

الملخص: تهدف هذه الدِّراسَة إلى توضيح أوجه التنوع في الأداءات النُّطقيَّة في عين الأسماء الثلاثية في القراءات الْقرآنيّة، وتعليل ظاهرة التحول من التَّحريك إلى التَّسكين ومن التَّسكين إلى التَّحريك.حيث قمتُ بدراسة شاملة لحركة عين الأسماء الثّلاثيّة متحرِّكة العين التي سُكِّنتْ والسَّاكنة التي حُرِّكتْ، وتناوب الحركات على عين الكلمة فيها،

وتوجيه القراءات المختلفة، إن كانت تنتمي لقبيلة ما أو إن خضعت لقوانين صوتية، وتوضيح ذلك من خلال التحليل الصوتي للمفردات جميعها، وإظهار أثر السياق الْقرآنيّ في حذف الحركة أو تحريك أوساط الكلمة لتحقيق مزيد من الانسجام الصوتي. واشتملت هذه الرسالة على فصول ثلاثة، سُبقت بتمهيد وتُليت بخاتمة. أما التمهيد، فيتناول علة حذف الحركات القصيرة على عين الأسماء الثلاثية، - بغض الطرف - عن نوع الصَّائت (فتحة، ضمة، كسرة)، وأبنية الأسماء الثلاثية عند القدامى والمحدثين بالإضافة إلى أهمّ القوانين الصوتية. أما الفصول الثَّلاثة فقد تناول كل منها ما يلي: الفصل الأوَّل: تسكين المتحرك وتضمن ثلاثة مباحث هي: (ضمّ السّاكن، وفتح السّاكن، وكسر السّاكن) الفصل الثّاني: تحريك السَّاكن وتضمن ثلاثة مباحث هي: (تحريك المضموم، تحريك المفتوح، تحريك المكسور). الفصل الثّالث: تناوب الحركة على عين الأسماء الثلاثيّة وتضمّن أربعة مباحث: (التَّناوب بين الكسر والضَّمّ، التَّناوب بين الضَّمّ والفتح، التَّناوب بين الفتح والكسر، الكلمات المثلّثة التي قبلت عينها الصّوائت الثّلاثة). وتم عرض أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدِّراسَة في الخاتمة، أما عن المنهج الذي اعتمدت الدِّراسَة عليه فهو المنهج الوصفيّ التحليليّ، واتكأت الدِّراسَة على المنهج التاريخيّ كلّما دعت الحاجة إلى ذلك.

الكلمات المفتاحية: حركة، الاسم الثلاثي، القراءات القرآنية .

المقدمة

أحمدك ربي حمداً كثيراً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلّي وأسلّم على صاحب الأذن المطيعة التي تلقت الأمر الرباني من خلال فعل الأمر "اقرأ"، فقرأ وهو لا يقرأ، وتعلم ما لم يعلمه من قبل، فأتقن السمع وأجاب النداء، ثم علم البشرية جمعاء ما ينفعها في دينها ودنياها، وبعد:

فهذا البحث يتعلق بالدراسات الْقرآنيّة، وتحديداً بالأسماء الثلاثية، ويرتكز على أعظم كتاب سماوي، وأفضل مرجع رباني، حيث يعد الْقرآن الكريم من أهمّ المصادر الأساسية للبحث في اختلاف اللهجات، استناداً إلى تنوع أوجه القراءات فيه.

ولعل اختلاف حركة عين الأسماء الثلاثية، تُعدّ وجهًا من أوجه اختلاف القراءات الْقرآنيّة، حيث تتناوب الحركات القصيرة على العين، فتختلف هذه الحركات من قراءة إلى أخرى، وقد تُحذَف هذه

الحركات أحيانا فيُصبح الحرف ساكنًا كما عبّر عن ذلك القدماء، وكل ذلك وفق ضوابط معينة أو قوانين صوتية متعددة، تهدف إلى تسهيل نطقها، أو للجريان وفق عادات نطقيه معينه، وعندما نقول التَّحريك فإننا نعني الحركات القصيرة المتعارف عليها، وهي:

الكسرة، والضَّمّة، والفتحة.

إنّ اختلاف الحركة في الكلمة يؤدِّي إلى اختلاف الأداء النطقيّ بها، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى وجود قراءات قرآنيّة متنوّعة، وبالتالي فإنَّهُ لا يمكن لقائل أن يقبل بعض القراءات ويرفض الأخرى.

وسنورد بعض الدّراسات السّابقة التي لها علاقة بالأبنية الثلاثية والقراءات الْقرآنية، منها:

أولاً: المصاروة، جزاء محمد، دور اللهجة في توجيه القراءات الْقرآنية عند أبي حيان الأندلسي في "تفسير البحر المحيط ". وهي دراسة تهدف إلى الكشف عن مدى اعتماد أبي حيان الأندلسي اللهجات معيارا في توجيهه للقراءات الْقرآنية، وبينت الدراسة آراء القدماء في توجيه هذه القراءات ،ولم تخل الدراسة من تحليل النمط اللغوي من وجهة نظر علم اللغة الحديث ،وكذلك تحليل الشواهد من الناحية الصوتية وتبيين أدائها النطقي ، بالإضافة إلى أنها بحثت تناوب الحركات في فاء وعين الأسماء والأفعال، ودرست إحدى اللهجات العربية وهي ظاهرة التلتلة.

ثانيًا: دولة، حنفي الحاج، أبنية الفعل الثلاثي المجرد دراسة نظرية إحصائية تأصيلية في المعجم الوسيط. تهدف هذه الدراسة إلى امتحان النظرية الصرفية القديمة في أبنية الفعل الثلاثي المجرد، وأوضح الباحث أن هناك خلطا بين بعض الصيغ الصرفية ،مثل: فَعَل – يفعَل – يفعُل ...وتجدر الإشارة إلى أن أهمية الإحصاءات الرقمية وتحليلها التي قامت عليها هذه الدراسة تعد من أفضل الطرق لمعالجة هذا الخلط من خلال النسب المئوية.

ثالثًا: حسام، أحمد هاشم، التغيرات الحركية في القراءات الْقرآنية وأثرها في تعدد المعنى. بينت هذه الدراسة بعض الاختلافات اللغوية في القراءة الْقرآنية لبعض الآيات، واقتصر البحث على الاختلاف في تغيير الحركات فقط دون الحديث عن القراءات التي تخص الزيادة في بعض الحروف أو تغيير بعض الألفاظ والكلمات، ولم تكن الدراسة شاملة للشواهد الْقرآنية جميعها؛ و إِنَّمَا اقتصرت على ذكر بعض الأدلة والنماذج كأمثلة توضيحية، إلا أن دراستي اختلفت عنها بِأَنَّهَا استقصت الأسماء الثلاثية جميعها في الْقرآن الكريم، واهتمَّت بتتبُّعها ومحاولة حصرها، وتوضيح

أثر تغير الحركة في الأداء النطقي لدى القراء.

واختلفت دراستنا عن الدّراسات السّابقة بِأَنَّهَا تخصَّصت في الاسم الثُّلاثيّ في القراءات الْقرآنيَّة، حيث عنيت بحركة عينه وتغيُّرها من السَّاكن إلى المتحرِّك ومن المتحرِّك إلى السّاكن، وبيّنت بعض الاختلافات النُّطقيّة، وكيفيّة أدائها لدى أوجه القراءات الْقرآنيّة المتعدّدة؛ نتيجة الاختلاف في تغيير حركة عين الأسماء الثُّلاثيّة، وأوضحت آراء القرّاء اتّفاقًا أو اختلافًا، واهتمّت بعزو كل وجهٍ من أوجه القراءات لقارئيها، وأوضحت علّة تغيير الضّبط الحركيّ لبنية الأسماء الثّلاثيّة لتحقيق مزيد من الانسجام الصّوتيّ، والتّناغم الموسيقيّ في بعض الآيات الْقرآنيّة.

وبما أنّ هذا البحث يتمحور موضوعه حول الأسماء الثّلاثيّة، فلا بُدَّ من دراسة أبنية الاسم الثّلاثيّ، ومقارنة ما قدَّمه أسلافنا القدامى بما جاء به المُحدَثون.

أبنية الأسماء الثلاثية:

لا يختلف اثنان عَلَى أنَ أكثر الأسماء العربية ثلاثية الأصول، وقد عبر القدماء عن هذه الأصول بالأحرف (ف ع ل)، والحرف الأول يقبل الحركات الثلاثة، وهي: الفتحة والضَّمّة والكسرة، لكنه يرفض السكون لأسباب تفرضها قوانين اللغة، وهي صعوبة أو استحالة الابتداء بالسَّاكن.

أما عين الكلمة فتختلف عن فائها بقبولها الحركات الثلاثة: (الفتحة والضَّمّة والكسرة) بالإضافة إلى السكون، وبإمكاننا معرفة عدد الأوزان التي يمكن صوغها، إذا ما ضربنا عدد الحركات التي يقبلها حرف الفاء، وهي(٣) في عدد الحالات التي يمكن أن تكون عليها العين وهي (٤) فينتج اثنا عشر وزناً. تُستعمَل منها عشرة أوزان بشكل شائع، أما الاثنان الآخران فقد تخلفّا من ناحية الاستعمال، وإذا ما علمنا أنهما على وزني: (فُعِل) و (فِعُل) فان علّة ندرة استعمالهما تظهر بشكل جلي، وهي صعوبة الانتقال من الضَّمّ إلى الكسر، أو من الكسر إلى الضَّمّ.[١]

- **أبنية الأسماء الثلاثية عند القدامى:**

يُعَدُّ سيبويه أوّل نحويَّ فصَّل القول في أبنية الاسم الثلاثي، حيث أفرد بابًا في كتابه أسماه: (باب ما بنت العرب من الأسماء والأفعال والصفات).

[١] الصقلي، ابن القطاع،(ت:٥١٥ه)، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق:أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب المصرية، ص٦٩.

وبدأ بأبنية الأسماء الثلاثية المجردة، دون الأفعال، حيث ذكرها ومثَّل لها بأسماء وصفات، فهي عنده:[٢]

- (فَعْل) مثل: (صَقْر) من الأسماء، و(ضَخْم) من الصفات.
- و(فِعْل) مثل:(جِذْع) من الأسماء و(جِلْف) من الصفات .
- و(فُعْل) مثل:(بُرْد) من الأسماء و (حُلْو) من الصفات .
- و(فَعَل) مثل: (جَمَل) من الأسماء و(عَزَب) من الصفات.
- و(فَعِل) مثل: (كَبِد) من الأسماء و(حَذِر) من الصفات.
- و(فَعُل) مثل: (رَجُل) من الأسماء، (نَدُس) من الصفات .
- و(فُعَل) مثل:(صُرَد) من الأسماء، و(لُبَد) من الصفات.
- و(فُعُل) مثل: (عُنُق) من الأسماء، و(جُمُد) من الصفات.

و(فِعَل) مثل: (عِنَب) من الأسماء، ولا يأتي هذا البناء في الصفات من الاسم الثلاثي الصحيح، إلا ما كان معتلاً منه، ومما يؤكد هذا ما ذكره سيبويه في البناء نفسه، حيث قال: "ولا نعلمه جاء صفة إلا في حرف من المعتل".[٣] و(فِعِل) مثل:(إِبِل) من الأسماء، وهو قليل جدًّا في الاستعمال، وربما يندر استعماله في الصفات؛ لدرجة أنّ سيبويه قال في كتابه عن وزن (فِعِل): "لا نعلم في الأسماء والصفات غيره".[٤]

ومما يؤكد أن سيبويه اكتفى بالأبنية العشرة، العبارة التي ذكرها في نهاية هذا الباب، حيث قال: "واعلمْ أَنَّه ليس في الأسماء والصفات (فُعِل)، ولا يكون إلا في الفعل، وليس في الكلام (فِعُل).[٥] ونستدلّ عَلَى أنَ بناء (فُعِل) غير مستعمل، ما ذكره ابن السّرّاج أنه مطَّرح لثقل الضَّمّة بعد الكسرة.[٦]

---

[٢] سيبويه، الكتاب، (ت:١٨٠ه)،٢٣٢/٤، تحقيق:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

[٣] سيبويه،الكتاب،(ت:١٨٠ه)، ج٤، ص ٢٣٣.

[٤] المرجع نفسه، ج٤، ص٢٣٣.

[٥] المرجع نفسه، ج٤، ص ٢٣٣.

[٦] ابن السراج، الأصول في النحو، (ت:٣١٦ه)، تحقيق: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٩٨٥م ج٣، ص١٨٠.

وذكر ابن القطاع الصقلي [٧](ت: ٥١٥هـ) وزنا آخر وهو (فُعِل)، نحو: (دُئِل)، وحقيقة الأمر أن بعض القبائل تختلف في لفظها لهذا الاسم ،فمثلا ينطق عند كنانة بضم الدال وكسر الهمزة (دُئِل)، وينطق بتخفيف الهمزة وكسر الدال عند عبد القيس (دِئْل)، ونفى ابن القطاع وجود بناء آخر على وزن (فِعُل)، حيث ذكر في نهاية هذا الباب: وليس في الكلام (فِعُل) .[٨]

أمّا ابن عصفور الإشبيلي فذكر الأوزان الثلاثية بِأَنَّهَا اثنا عشر بناء، تحت باب أسماه (أبنية الأسماء)، وهذا نصّ قوله: "فأمّا الثلاثي من الأصول فيتصور فيه اثنا عشر بناء، وذلك انه يُتصوّر في الفاء أن تكون مفتوحة ومضمومة ومكسورة، ويُتصوّر مع تحريكها بالفتح، في العين أربعة أوجه: أن تكون مفتوحة ومضمومة ومكسورة وساكنة، وكذلك مع تحريكها بالضَّمّ والكسر، إلا انه أهمّل منها بناءان– وهما: (فُعِل) و(فِعُل)". [٩]

- **عند المحدثين :**

أما المحدثون [١٠] فبعضهم اعتمد الأبنية العشرة، وفسّروا سبب تأخر استعمال كل من هذين الوزنين: (١)-(فِعُل) (٢)-(فُعِل)

أما الأول فبسبب الانتقال من الكسر إلى الضَّمّ ، مما يؤدي إلى صعوبة النطق به. أما الوزن الثاني فهو خاص بالفعل المبني للمجهول، والواقع أن اللغة تستثقل أن تتوالى ضمة وكسرة أو كسرة وضمة، والسبب في ذلك يعود إلى الناحية العضوية؛ وذلك لأن الكسرة تعد أضيق الحركات وأكثرها تقدماً، أما الضَّمّة فتشترك مع الكسرة بِأَنَّهَا حركة ضيقة لكنها تناقضها بِأَنَّهَا أكثرها تراجعاً، لذا فإنَّهُ يصعب على الناطق ان ينقل لسانه من وضع معين إلى نقيضه تماما، مع الحفاظ على السرعة المطلوبة في الأداء النطقي؛ لهذا نجد أن العربي تجنب معاناة الصعوبة في النطق في الأبنية الثابتة[١١]، ولم يجئ من الأسماء إلا في ثلاثة، وهي: دُئِل، ورُئِل، ووُعِل .[١٢]

ولكننا نجد أن بعضهم الآخر أضاف إليها بناءين آخرين ، هما :

٧[] الصقلي، ابن القطاع،أبنية الأسماء والأفعال، ص ١٣٨.

٨[] الصقلي، ابن القطاع،أبنية الأسماء والأفعال، ص١٣٨

٩[] الإشبيلي، ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف،(ت:٦٦٩ه)، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة-ب بيروت، ط٤، ١٩٧٩م، ص٥١.

١٠[] نهر، هادي، الصرف الوافي، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد الأردن، ٢٠١٠م،ص٣٨.

١١[] شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م،ص٥٣.

١٢[] السيد، عبد الحميد مصطفى، المغني في علم الصرف، دار صفاء للطباعة والنشر-عمان،ط١، ٢٠١٥م،ص ٦٢.

- (فِعُل) بكسر فضم
- (فُعِل) بضم فكسر.

واستشهد صاحب هذا الرأي [١٣]

بقراءة بعضهم لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [١٤] على البناء الثاني (فُعِل).

نلاحظ أن معظم الصرفيين قسموا أبنية الاسم الثلاثي إلى عشرة أبنية، في حين ذكر صاحب الشّافية أن القسمة تقتضي اثني عشر، سقط منها (فُعِل و فِعُل) استثقالاً.[١٥]

و نجد أن بعض علماء الصرف القدامى والمحدثين قد تحدثوا عن تفريعات الأبنية، ومعنى التفريع: الإتيان بالبناء الواحد على أكثر من صورة بقصد تسهيل النطق وتخفيفه[١٦] ، حيث أفرد سيبويه في كتابه بابا أسماه (هذا باب ما يسكن استخفافا وهو في الأصل متحرك)[١٧]، وعندما نقرأ كلمة الأصل في عنوان هذا الباب، فإنَّهُ سرعان ما يتبادر للذهن بان هناك فرعًا تولد عن الأصل، ونقرأ كذلك في كتاب الشافية بابًا بعنوان: (رد بعض الأبنية إلى بعض) [١٨]حيث يقول: وقد يرد بعض إلى بعض، "فِعَفعِل" مما ثانيه حرف حلق، "كفَخِذ" يجوز فيه فِخِذ، وفَخِذ، وفَخْذ، وكذلك نحو قُفُل يجوز فيه قُفْل.[١٩]

وقد نظم ابن الحاجب المالكي(ت ٦٤٦هـ) أبياتاً بيّن فيها هذه التفريعات على النحو الآتي:

أمثلةُ العَشرة فِلْس وذَهَب ذو كَتِف ذو عَضُد حَبْر عَنِب

ذو إبِل قُفْل وبَعَدهُ صُرَد ذو عُنُق ونَقْل بَعْضه قَدْ وَرَد

في قُفْل ثانيه من حَلْقٍ كَفَخِذ وفَخْذ وَفِخْذ وفِخِذ

كَذلكَ الِفعلُ كَقولِنا شَهد فيهِ أتى شَهْد وشَهِد مع شِهِد

---

[١٣] الفضلي، عبد الهادي، مختصر التصريف، دار القلم- بيروت،ص٢٣

[١٤] سورة الذاريات ، آية ٧.

[١٥] ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافية، ج١، ص٩

[١٦] المرجع نفسه، ٩/١

[١٧] الكتاب، ج٤، ص١١٣.

[١٨] ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافي، ج١، ص١٣.

[١٩] المرجع السابق، ج١، ص١٣.

كَتِف وَكِتِف جاء في مثل كِتْف في عَضُد ونحـوه عَضْـد عُرِف

في عُـنُـق عُنْـق أتـى وفـي إبِـلٍ أو بِـلِـز أِبـْـل وبِـلْـز قـد نُـقـل

في نحو قُـفْـل قـُفْـل حَـازَ عَـلَـى رأيٍ فَضُمّ سِين عُسْـرٍ نُـقـلا [٢٠]

وبما أن اللغة بشكل عام تنهج في طريقها نحو الأيسر والأسهل، فمن الطبيعي استثناء هذين الوزنين: (فُعِل) و(فِعُل) اللذين يشكلان عبئاً نطقياً أثناء عملية اللفظ؛ بسبب التنقل بين حركتين ثقيلتين.

ولمّا كانت هذه الدِّراسَة تعنى بتغير الضبط الحركي لبنية الأسماء الثلاثية، ومعظم هذا التغير غالباً ما يسير وفق قوانين صوتية معروفة، كان لا بُدَّ من تسليط الضوء على أهمّ القوانين الصوتية؛ لتفسير تناوب الحركات أو حذفها.

ولعل أهمّ هذه القوانين الصوتية هي:

- المماثلة
- المخالفة
- الخفة والثقل.

فالتغير في بنية الكلمة من ناحية نطق أصواتها اللغوية يخضع لقوانين التغييرات التركيبية للأصوات، وأهمّها:

أولاً: ظاهرة المماثلة:

المماثلة لغة: هي مصدر صريـح من الفعل (ماثل)على وزن (مُفاعَلَة)، وجذرها الثلاثي: (مَثل). يعرِّفها صاحب اللسان بِأَنَّهَا كلمة تسوية[٢١]، ويروى عن ابن بري أنه بيّن الفرق بين المماثلة والمساواة، فالمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين؛ لأن التساوي هو التكافؤ في

[٢٠] ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافية، ج٢، ص١٨.
[٢١] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت،ط١،١٩٩٠،ج١٤، ص١٧.

المقدار لا يزيد ولا ينقص، أما المماثلة فلا تكون إلا في المتَّفقين.[٢٢]

المماثلة اصطلاحاً: يعّرفها دانيال جونز بِأَنَّهَا: "عملية إحلال صوت محلّ صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث، قريب منه في الكلمة أو الجملة، ويمكنها أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متوالين ينتج عنهما صوت واحد، مختلف عنهما"[٢٣]. فالأصوات عندما تتجاور يؤثر بعضها في بعض، وقد يؤثر صوت سابق في صوت لاحق، فتكون المماثلة مقبلة، أو يؤثر صوت لاحق في صوت سابق، فتكون المماثلة مدبرة، كما تختلف بحسب شدة تجاور الصوتين: المؤثِّر والمتأثِّر، فإذا كانا متلاصقين فهي مماثلة متصلة، أما إذا كان يفصل بينهما فاصل فهي عندئذ مماثلة منفصلة.[٢٤]

أما أحمد مختار عمر فإنَّهُ يعرِّفها عَلَى أنَها: "تحوُّل الفوينمات المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلاً جزئياً أو كلياً".[٢٥]

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح (المماثلة) حديث نسبياً، إلا أن الظاهرة بمعناها قديمة، فهي من الظواهر الصوتية التي عُني بها العلماء العرب النحاة والصرفيون، ولكنهم لم يُفردوا لها باباً خاصاً، وإِنَّمَا توزّع حديثهم عن تفصيلاتها في بحوث مختلفة، ويُعَدُّ سيبويه من أوائل من أدركوا وجود هذه الظاهرة في اللهجات، وأطلق عليها مصطلح (المضارعة).[٢٦]

ثانياً: ظاهرة المخالفة الصوتية:

المخالفة هي: مصدر صريـح للفعل (خَالَفَ)، وهي عبارة عن قانون صوتي آخر يسير في اتجاه مغاير للمماثلة، وتهدف إلى تغيير أحد الصّوتين المتماثلين في كلمة ما إلى صوت آخر جديد مختلف عما كان عليه، فإذا كانت المماثلة تعمل على التقريب بين الأصوات المتنافرة أو المتناقضة، فان المخالفة تعمل على التفريق بين الأمثال والمتقاربات، والهدف الرئيس من وجود هاتين الظاهرتين هو تيسير عملية النطق، بالإضافة إلى تقليل الجهد العضلي في أثناء نطقها[٢٧]. وليس من الضروري في المخالفة الصوتية أن يكون الصوتان متجاورين، فكلمة (لعلّ) تنطق في لغات متعددة (لعنّ) وهذا التَّناوب بين صوتيّ اللام والنون، يُعدّ أثرًا من آثار قانون المخالفة الصوتية، وقد فطن قدماء

---

[٢٢] المرجع نفسه، ج١٤، ص١٧.

[٢٣] عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، ص٢٩٨، وانظر: الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية، ص١٩١.

[٢٤] عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، ص٣٠، وانظر: عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، دار الصفاء- عمان، ط١، ١٩٩٨م، ص ٢٨٣.

[٢٥] عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت العربي، عالم الكتب- القاهرة ١٩٧٦م، ص٣٧٨.

[٢٦] انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص٤٧٧.

[٢٧] الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص٢٩٨

اللغويين العرب إلى هذه الظاهرة، وفسّروها بكراهية توالي اجتماع الأمثال، أو كراهية التضعيف، أو ما يسمّى بتكرير الحرف نفسه .[٢٨]

أما علة المخالفة من الناحية الصوتية؛ فإن اجتماع صوتين متماثلين في كلمة واحدة يحتاج إلى جهد عضلي، ولتيسير هذا الجهد فان أحد الصوتين يُقلَب صوتاً آخر للتسهيل وتيسير عملية النطق .[٢٩]

ولعلّ حرص اللغة العربية على ظاهرة المخالفة يتأتّى من التنوّع الموسيقي المحبّب لدى السّامع، حيث تظهر الأصوات على حقيقتها من ناحيتي: النطق ثم السمع.[٣٠]

يقول تمّام حسّان: "إذا كانت اللغة العربية تكره توالي الأضداد، وتكره كذلك توالي الأمثال، فما الذي يرتضيه ذوقها إذن، من الواضح إن النظام اللغوي والاستعمال السياقي جميعاً يحرصان في اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخالفين، أو بعبارة أخرى يحرصان على التخالف، ويكرهان التنافر والتماثل" .[٣١]

ثالثاً: قانون السهولة واليسر:

يميل الإنسان بطبعه إلى السهولة واليسر في أموره جميعها، ولعل النشاط الصوتيّ هو واحد من هذه الأمور التي يسعى إلى تخفيف الجهد المبذول عند إنتاجه، وهذا التخفيف لا يكون عشوائيا؛ و إِنَّمَا هناك قوانين تضبط عملية الاقتصاد الجهدي، وتفسّر أسباب التطورات الصوتية، فالصوت الضعيف في خصائصه وصفاته وامتداده النطقي يكون عُرضة للتأثر بالصوت الذي يتصف بقوة خصائصه الصوتية[٣٢]. وتعد ظاهرة الخفة والثقل في اللغة أمراً نسبياً؛ فما هو ثقيل عند شخص قد يكون خفيفا عند شخص آخر، وإذا أحس المتكلم بثقل ما، فإِنَّهُ يلجأ للأخف مخالفة وهروبا من الثقل إلى الخفة عن قصد[٣٣]، عَلَى أنَ هناك أصواتًا اتفق العلماء على ثقلها، وللحديث عن قانون الخفة والثقل فإِنَّهُ لا بُدَّ من الحديث عن الحركات أو ما يُعرف اليوم بالصوائت.

فالحركة هي ضد السكون من الناحية اللغوية، ويعلل ابن جني سر تسميتها فيقول: "سميت هذه

---

[٢٨] عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، ص٦٢.
[٢٩] عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، ص٦٤
[٣٠] الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص٢٩٩.
[٣١] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتاب، ط٥، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٢٦٤.
[٣٢] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص ٢٨٢.
[٣٣] عفيفي، أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية،ط١، ١٤٢٨ه-١٩٩٦م، ص ٨٩.

الأصوات حركات؛ لِأَنَّهَا تقلقل الحرف الذي تقترن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها[٣٤]". ولم تقتصر أهمّية الحركة على قلقلة الحرف؛ و إِنَّمَا هي تبين أجزاء الكلام من الناحية الوظيفية، يقول الأخفش عن العلامات: "وللحروف علامات وُضعتْ ليُستَدلّ بها".[٣٥]

وعبّر ابن جني عن الحركات بِأَنَّهَا جزء من حروف المد، حيث يقول: "اعلمْ أَنَّ الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضَّمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضَّمّة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضَّمّة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة".[٣٦]

ومما يدلل عَلَى أنَ اللغويين القدامى كانوا على طريق مستقيمة، وصف المحدثين للحركات، إذ استنبطوا من هذه التسمية وصفاً دقيقاً لكل حركة من الحركات القصيرة في أثناء نُطقها، ولنبدأ بأثقل الحركات وهي:

- الضَّمّة: حركة خلفية يرتفع مؤخر اللسان عند النطق بها نحو أقصى الحنك، وبهذا فإننا نحتاج لمجهود عضلي يفوق الذي نبذله عند النطق بالكسرة، فالضَّمّة كما وصفها كانتيتو: هي حركة خلفية مستديرة[٣٧]، وهذا الجهد المبذول في نطقها قد يؤدي إلى حذفها أو استبدال حركة أخرى بها.

وربما ظهرت ظاهرة اختزال الجهد الصوتي عند سكان البوادي والصحاري، إذ إنَّ القبائل البدوية بشكل عام تميل إلى الضَّمّة كأنها تمثل بالنسبة لهم مظهراً من مظاهر الخشونة البدوية[٣٨]، وكذلك يميلون إلى السرعة في النطق، في عكس سكان الحواضر الذين من سجيتهم التأني والتمهل، والبطء في إخراج ألفاظهم الصوتية.

- الكسرة: تأتي الكسرة من ناحية الثقل بعد الضَّمّة، فهي أخف من الضَّمّة وأثقل من الفتحة

---

[٣٤] ابن جني، سر صناعة الإعراب،تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق،ط١، ١٩٨٥م،ج١، ص٢٦ ،٢٧.

[٣٥] بشر، كمال، علم الأصوات اللغوية، دار غريب، القاهرة، مصر،٢٠٠٠م، ص٤٢٢.

[٣٦] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج١، ص١٩.

[٣٧] كانتينو، دروس في علم أصوات العربية،ترجمة صالح القرنادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية-تونس،١٩٩٦م، ص١٤٦.

[٣٨] انظر: أنيس، إبراهيم ، في اللهجات العربية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط٦،ص٨١.

من جهة النطق، حيث تُعَدّ الكسرة حركة أمامية منغلقة وأكثرها تقدماً[٣٩]، لأن الجزء الأمامي من اللسان يرتفع عند النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات، فيضيق بذلك مجرى الصوت عند نطقها. إلا أن الحركتين (الضَّمّة والكسرة) كثيراً ما تتناوبان، ويفسر إبراهيم أَنيس علة التَّناوب فيقول: "والكسر والضَّمّ من الناحية الصوتية متشابهان، لأنهما من أصوات اللين الضيفة" .[٤٠]

- الفتحة: تُعَد الفتحة حركة وسطية منفرجة؛ وذلك لأن اللسان يتمركز في قاع الفم عند النطق بها، وإذا ما علمنا أن الفتحة هي جزء من الألف، فإنَّهُ يسهل علينا فهم اتساع مجرى الصوت عند نطقها .[٤١]

لذا فإنَّهُا تعد أخف الحركات، وتميل إليها بعض القبائل للتخلص من الضَّمّة أو الكسرة؛ لتقليل المجهود العضلي في أثناء عملية النطق.

الفصل الثالث

تناوب الحركة على عين الأسماء الثلاثية

إن الضبط الداخلي لبنية الكلمة يرتكز على تغيير حركة الأصوات، ولا يقتصر التغيير على تخفيفها بالتسكين، و إِنَّمَا يتعدّاه إلى الإبدال بين الصّوائت نفسها، فمِن ضمّ إلى فتح أو كسر، ومن كسر إلى ضمّ أو فتح، إلى غير ذلك-كما سنتناولها لاحقا- ولعل الهدف من وراء هذا الْإبدال هو التلوّن في الأداء الصوتي، يقول جابرِالمنصوري: "إنما تتعاقب الحركات والسواكن طلبا للخفة وجريان موسيقى الأصوات".[٤٢]

ويتألف هذا الفصل من مباحث أربعة هي:

المبحث الأوّل: التَّناوب بين الكسر والضَّمّ:

والمقصود التَّناوب بين حركتي الضَّمّ والكسر على عين الأسماء الثلاثية، ويمكن تقسيمه إلى:

[٣٩] شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٥٣.
[٤٠] أَنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص٨١.
[٤١] بشر، كمال، علم الأصوات اللغوية، فصل(تصنيف الحركات العربية)، ص٤٤٥.
[٤٢] عفيفي، أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ص ١٥٠

أولاً: كسر المضموم: وهنا تتحول ضمة عين الاسم الثلاثي إلى كسرة، وهو قليل في اللغة؛ لأن الصَّائتين الضَّمّة والكسرة يُعدّان من الصوائت الثقيلة، وان كانت الكسرة أخف من الضَّمّة . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ.[٤٣]﴾

حيث قرأ أبو مالك الغفاري [٤٤]وأبو السَّمّال[٤٥] (الحِبُك) بكسر فضم.

والحُبُك أي الطرائق، الواحد حَبِيكَة، وحِبَاك[٤٦]، وفسّرها ابن عباس بِأَنَّهَا الخَلْق الحسن[٤٧]، وذكر وذكر الزبيدي أنها الشد والإحكام وإجادة العمل والنسج وتحسين أثر

الصنعة[٤٨]، وتجمع على حُبَك وحُبُك .

وبما أن بناء (فِعُل) بكسر الفاء وضم العين مُهْمَل لاستثقال الانتقال من كسر إلى ضم، فان القراءة وُجِّهت على تقدير صحتها بأمرين:

أحدهما: أن ذلك من تداخل اللغتين فيها، إذ يجوز في الكلمة (الحُبُك) بِضمَّتيْنِ و(الحِبِك) بكسرتين، أما من ضم وكسر فهذا دمج بين اللغتين، قال ابن جني: ركَب القارئ منهما هذه القراءة، أراد ان يقرأ بكسر الحاء والباء، فبعد نطقه بالحاء المكسورة مال إلى القراءة المشهورة، فنطق بالباء مضمومة، وذكر ان هذا التوجيه لو اعترف به من عُزيتْ هذه القراءة له لدلّ على عدم الضبط ورداءة التلاوة.[٤٩]

أما التفسير الآخر فقد فُسّر على الإتباع ؛ أي ان يكون كسر الحاء إتباعًا لكسر تاء (ذات)، ولم يُعتد باللام السَّاكنة؛ لان السَّاكن حاجز غير حصين، وقيل ان هذا التوجيه أفضل.[٥٠]

وقال بدر الدين المالكي:"أحسبه سهوًا؛ وذلك انه ليس في كلامهم (فِعُل) أصلاً.[٥١]

---

[٤٣] سورة الذاريات:٧

[٤٤] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ٢٨٦٤/٢

[٤٥] ضياء السائدة إلى أوضح المسالك٣٢٤/٤

[٤٦] الزمخشري، أساس البلاغة، ١٦٥/١

[٤٧] ابن منظور، لسان العرب ٤٠٨/١٠

[٤٨] الزبيدي، تاج العروس ١٠/٢٧

[٤٩] الأشموني، أبو الحسن، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٤٣/٤، و المالكي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ١٥١٢/٣

[٥٠] المالكي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك١٠٦/٣

[٥١] السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٩م، ٢٩٦/٣

والراجح أن يكون الأصل في كلمة (الحُبُك) بِضمَّتيْنِ ، لِأَنَّهَا جمع تكسير على وزن (فُعُل)، وكسر عين الحُبُك كان وِفْق بناءين:

- أحدهما على وزن (فِعِل)، أي تماثل حركتي الكسر، وهذا لا خلاف فيه.

il>fi حيث خضع هذا النمط لأحد القوانين الصوتية، وهو قانون المماثلة المدبرة الكلية المنفصلة؛ وذلك بتأثير كسرة عين الكلمة على ضمة فائها، فأبدلتها صائتًا مماثلًا (الكسرة)، فتولد النمط الجديد الذي يتصف بالتماثل الحركي (الحِبِك) بكسرتين.

- أما الوزن الثاني (فِعُل) ففيه الخلاف؛ لأنه يصعب الانتقال من كسر إلى ضم لما في ذلك من جهد عضلي كبير.

fi >ul وذكر السيوطي: أن هذه القراءة شاذة. [٥٢]

ثانياً: ضم المكسور:

حيث وقع التبادل بين الصَّائت قليل الخفة(الكسر) والصَّائت الثقيل، وهو تحوُّل قليل في اللغة إذا ما قورن بغيره من التحولات وينتج عنه تحول:

فَعِل ⟸ فَعُل

ul>fa ⟸ il>fa

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ [٥٣]

قرأ مجاهد (أشُر) بفتح الألف وضم الشين، وكذلك قرأ (الأُشُرُ) في قوله تعالى:سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ [٥٤]بثلاث ضمات وتخفيف الراء.[٥٥]

وأَشِر بمعنى بَطِر[٥٦] وتجمع على أَشِرونَ[٥٧]. وذكر الزبيدي أن أَشِر كَكَتِف: وأَشَر تعني

---

[٥٢] السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢٩٦/٣
[٥٣] سورة القمر :٢٥
[٥٤] السورة نفسها: ٢٦
[٥٥] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير ١٨٠/٨
[٥٦] ابن منظور، لسان العرب ٢٦/٤
[٥٧] المرجع نفسه، ٢٠/٤

الفَرَح والغُرور.[٥٨]

ولم يبتعد المفسرون كثيرًا عن المعاني التي وردت في المعاجم، حيث فسّروها

خلال السياق الْقرآنيّ بِأَنَّهَا: بَطِر، ومَرِحَ [٥٩]ومتكبِّر [٦٠]وتَرِحَ.[٦١]

ويبدو أن تناوب الضَّمّة والكسرة على عين الأسماء الثلاثية لم يرد في اللغة بشكل مطّرد، إلا أن جود بعض الشواهد يدلل على وجودها، وفسّر أبو حيان بِأَنَّهَا لغة، كان يقال: حذِر وحَذُر[٦٢] ويَقِظ ويقُظ، وَندِسُ ونَدُسٌ .[٦٣]

ويمكن توضيح التحول الصوتي من خلال:

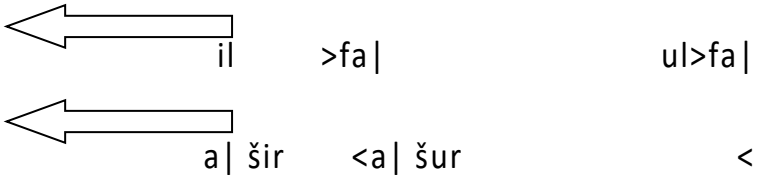

أما القراءة الثانية لمجاهد (الْأُشُر) في قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُون غَدًا مَنِ الْكذَّابُ الْأَشِرُ﴾[٦٤]، بثلاث ضمات(الْأُشُر)[٦٥] ، فقد أبدل فتحة الهمزة ضمة على الإتباع .[٦٦]

فنشأ التماثل الحركي كما يلي:

فالنمط الجديد يتكون من ثلاث مقاطع قصيرة نواتها الضَّمّة.

وفي قوله تعالى لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي انهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

قال يعقوب القارئ: قرأ بعض أهل المدينة (لَفَرُحٌ) بضم الراء، كما يقال: رَجُل وحَذُر ونَدُس،

---

[٥٨] الزبيدي، تاج العروس ٥٣/١٠

[٥٩] مقاتل الأزدي، أبو الحسن، تفسير مقاتل بن سليمان ٢٩٩/٣

[٦٠] السمرقندي، بحر العلوم ٣٧٣/٣

[٦١] القيسي، مكي ابن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ١٦٧/٩

[٦٢] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير١٨٠/٨

[٦٣] السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٢٩٣/٦

[٦٤] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ١٨١/٨

[٦٥] المرجع نفسه، ١٨/٨

[٦٦] سورة هود، آية ١٠.

وذهب القرطبي إلى انه يجوز في كلتا اللغتين الإسكان؛ لثقل الضَّمّة والكسرة.[٦٧]

ذكر مقاتل بن سليمان أن (فَرِح) تعني البَطِر في حال الرخاء والشدة[٦٨]، وفسّره السمرقندي بأنه بَطِر فرِح بما أعطاه الله تعالى[٦٩]، وهو الطّغيان في النعمة، وفخور في نعم الله ومتكبر على الناس.

ونجد أن تحوّل بناء(فَعِل) إلى(فَعُل) وارد في اللغة ولكنه بشكل محدود؛ لان فيه انتقال من الصَّائت متوسط الثقل إلى الصَّائت الأثقل وربما كانت علة الضَّمّ، التخلص من التنوع في الصوائت، فحذف الكسرة وإحلال الضَّمّة مكانها يُحدِث نوعًا من الانسجام بين المقاطع الصوتية كما هو مبين أدناه:

in| na| hu| la| fa| ri| ḥun| fa| hū | ru <

1 2 1 3 1 1 1 1 1 3

فتكرار المقاطع المفتوحة يشكل انسجاما صوتيًا، أما وجود المقطع المكسور بينها فإنَّهُ يؤثر على التوافق اللفظي ، لذا أبدلت الكسرة ضمة.

in| na| hu| la| fa| ra | ḥun| fa| hū | ru <

2 1 3 1 1 1 1 1 3 1

فأصبحت نواة المقاطع كلها تتناوب بين الفتح والضَّمّ باستثناء مقطع البداية.

المبحث الثاني: التَّناوب بين الضَّمّ والفتح:

أولا: ضم المفتوح:

أي إبدال الصَّائت متوسط الخفة (الفتحة) صائتًا أثقل منه (الضَّمّة)، بهدف التلون في الأداء الصوتي.وهو تحول من بناء:

⟸

a| lun>fu| u| lun >fu|

[٦٧] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن، ١١/٩

[٦٨] مقاتل الأزدي، أبو الحسن، تفسير مقاتل بن سليمان ٢٧٣/٢

[٦٩] السمرقندي، بحر العلوم، ١٤٠/٢

ونجد أن الْإبدال الواقع بين الضَّمّة والفتحة لم ينجم عنه تباين دلالي أو اختلاف معنوي، بقدر ما كان ذا تنوع صوتي وتلون في الأداء النطقي.

وسنذكر النماذج التي تدلل على كل تحول من خلال الشواهد الْقرآنيّة التالية:

قال تعالى: وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ.[٧٠]

قرأ الجمهور(جُدَد) بضم الجيم وفتح الدال[٧١] وقرأ الزهري جُدُد بالضَّمّ [٧٢]وبفتح الجيم والدال(جَدَد).[٧٣]

قال الأخفش: الجُدَد مفردها الجُدّة مثل الغُدَة وجمعها الغُدَد.[٧٤]

وجُدَد: كَصُرد مفردها الجُدَّة، وفسّرها الفراء بِأَنَّهَا: الخُطط والطّرُق تكون في الجبال بيض وسود وحمر[٧٥]. وذكر القرطبي بِأَنَّهَا طرائق تخالف لون الجبل.[٧٦]

إن قراءة الزهري لكلمة (جُدَد) على وزن أحد البناءين: (فُعُل) أو (فَعَل) يعني انه أراد المماثلة الصوتية بين فاء الكلمة وعينها وراوح بين المماثلة المقبلة والمدبرة كما يلي:

- مماثلة مقبلة منفصلة كلية ⇦ أثرت ضمة الفاء في فتحة عين الكلمة فأُبدلت الفتحةُ ضمةً:

ju| dad ⇦ ju| dud

- ٢ مماثلة مدبرة منفصلة كلية ⇦ أثرت فتحة العين في ضمة الفاء فأبدلتها فتحة:

ju| dad ⇦ ja| dad

ونظير ذلك (زُلَفا) في قوله تعالى: وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ .[٧٧]

---

[٧٠] سورة فاطر : ٢٧

[٧١] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ٣١١/٧

[٧٢] الزمخشري، الكشاف، ٦١٩/٣

[٧٣] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤٣٧/٤

[٧٤] الفراء، معاني الْقرآن ٤٨٦/٢

[٧٥] الزبيدي، تاج العروس، ٤٧٧/٧٠

[٧٦] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن ٤٣٢/١٤

[٧٧] سورة هود،١١٤

قرأ ابن القعقاع وابن أبي إسحاق وغيرهما (وزُلُفًا) بضم اللام[٧٨]، واحدته زُلُفة، كبُسُرة بضم السين .[٧٩]والزُّلْفَةُ الْمَنْزِلَةُ، والرُّتْبَةُ، والدَّرَجَةُ، وتجمع على زُلَفٌ.[٨٠]

قال لبيد: نَاجٍ طَوَاهُ الْأَيْنَ مِمَّا وَجَفَا طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفًا فَزُلَفَا[٨١]

وفسر القرطبي الزّلَف من الليل أي: السّاعات القريبة بعضها من بعض.[٨٢]

ونرجح ان أصل الكلمة(زُلَف) بدليل ما ذكره الأخفش ان أصلها بضم وفتح (كغُرَفٍ).

ولا تتغير الدلالة المعنوية للكلمة، سواء أقرئت بضم االلام أم بفتحها؛ ونستدلُّ على ذلك بقول ابن السكيت:" ان فُعُل وفُعَل بمعنى واحد، نحو: شُطُب الطّريق وشُطَبه. [٨٣]""

zu| lu| fā ⟸ zu| la| fā

ثانياً: فتح المضموم:

إن التحول من الصَّائت الثقيل (الضَّمّة)، إلى ما هو أخف منه (الفتحة) يعدّ فرارًا من ظاهرة الثقل، وطلبًا للخفة، وتوفيرًا للجهد العضلي المبذول، ولتحقيق السرعة في الأداء النطقي، وبخاصة إذا توالت ضمتان؛ فان اللغة لجأت في كثير من مفرداتها إلى التخلص من المتماثلات الثقيلة، وتعد المخالفة الصوتية بين الصوائت إحدى هذه السبل .ففي بناء (فُعُل) نجد ان ضمة عين البناء خالفت فاءه وأُبدلت فتحة، كما تمثله الكتابة الصوتية:

فُعُل ⟸ فُعَل

fu<al ⟸ fu<ul

[٧٨] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن، ١١٠/٩
[٧٩] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ٤٥٣/١
[٨٠] الزبيدي، تاج العروس ٣٩٩/١١
[٨١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٠٦/١٢
[٨٢] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن، ١١٠/٩
[٨٣] ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص ١٠٢

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَانهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ .[٨٤]﴾

قرئ (زُبُر) بالتخفيف[٨٥]، إذ إنَّ الضَّمّة تعد من أثقل الصوائت، ويهدف التخفيف والتخلص من الضَّمّ إلى تسهيل نطقها.

والزُّبُر على وزن (فُعُل) بِضمَّتيْنِ كرسول ورُسُل[٨٦]، أي: المكتوبة، والزُّبُر جمع زَبُور وهو الكتاب.[٨٧]

وتحافظ الكلمة على معناها بضم الباء أو فتحها، بدليل قول الفراء والمعنى في زُبُر وزُبَر واحد[٨٨]، يقول الزبيدي:" وزُبَر بفتح الباء مخفف أيضًا من (زُبُر) بردّ الضَّمّة فتحة[٨٩]، ويمكننا القول إن زُبَر لغة في زُبُر لِأَنَّهَا مخففة عنها.

قال لبيد:

وَجَلا السَّيولُ عَنِ الطُّولِ كأنها زُبُرٌ تَخُذُّ مُثُونَها أَقْلامُهَا[٩٠]

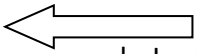

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[٩١]

قرأ أبو السَّمّال كلمة (سُرُر) بفتح الراء الأولى مرة وبتسكينها أخرى .[٩٢]

وفي آية أخرى نجد أن زيد بن علي قرأ بفتح الراء[٩٣] في قوله تعالى: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ .[٩٤]﴾

وَ(سُرُر) جمع سرير على وزن فُعُل أي بِضمَّتيْنِ .[٩٥]

---

[٨٤] سورة الشعراء، آية ١٩٦
[٨٥] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ١٩٨/٨
[٨٦] الزبيدي، تاج العروس ٣٩٩/١١
[٨٧] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن، ٢٩٦/٤
[٨٨] الزبيدي، تاج العروس ٣٩٩/١١
[٨٩] المرجع نفسه، ٤٠١/١١
[٩٠] الزبيدي، تاج العروس ٤٠١/١١
[٩١] سورة الصافات : ٤٤
[٩٢] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير ١٤٨/٧
[٩٣] السمين الحلبي، الدر المصون، ٢٥٥/٦
[٩٤] سورة الواقعة: ١٥

والعديد من الشواهد بينت ان بناء (فُعُل) يتطور إلى بناء (فُعْل) استثقالاً لاجتماع الضَّمّتين؛ وطلبًا للخفة، أما في هذا الشاهد فلا يجوز تسكين عين الكلمة؛ لان الحرف فيها مكرر. ويمتنع الإدغام فيها نحو طَلَل وجُدُد، فلو أُدغمتا في مثل سُرُر وجُدُد لالتبس ب(سُرّ) و (جُدّ).

ولان الفتح أخف على اللسان من بقاء الكلمة على أصلها المثقل، لذلك تحولت إلى بناء جديد هو سُرَر على وزن (فُعَل).

وذكر ابن السكيت ان (فُعُل) و(فُعَل) تأتي بمعنى واحد نحو: سُنُن وسُنَن.[٩٦]

ونسب صاحب الدر المصون هذه القراءة إلى لغة كلب وتميم.[٩٧]

والتمثيل الصوتي يوضح التحول لبنية الكلمة كما يلي:

su| ra| rin ⟸ ru| rin

سُرَرٍ سُرُرٍ

ومن ذلك قوله تعالى﴿وَان يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَانهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ.[٩٨]﴾

قرأ الجمهور خُشُب بضم الخاء والشين، وقرأ البراء وابن عازب والنحويان وابن كثير [٩٩]وقنبل وأبو عمرو والكسائيّ بإسكان الشين، وذلك بتخفيف ضمة شين خُشُب[١٠٠]، وقرأ ابن المسيب وابن جبير خَشَب بفتحتين.[١٠١]

والخَشَبة: ما غلظ من العيدان، والجمع خَشَب[١٠٢]، مثل شَجَرة وشَجَر وخُشُب بِضمَّتيْنِ.[١٠٣]

قال سيبويه: خَشَبة وخَشَب، مثل: بَدَنة وبَدَن.[١٠٤]

---

[٩٥] الزبيدي، تاج العروس ١٤/١٢
[٩٦] ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص١٠٢
[٩٧] السمين الحلبي، الدر المصون ١٦٣/٧
[٩٨] سورة المنافقون، آية ٤
[٩٩] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير ٢٧٢/٨
[١٠٠] القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان ٣٤٤/١
[١٠١] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ٢٧٢/٨
[١٠٢] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٣١/٥
[١٠٣] الزبيدي، تاج العروس، ٣٥٣/٢
[١٠٤] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢٥/١٨

وذكر الكسائي أن كلمة خُشُب هي جمع الجمع، كثُمرُ جمع ثماراً.[١٠٥]

وفسَّرها الطبري عَلَى أنَ هؤلاء المنافقين كأنهم خُشُب مسندة لا خير عندهم ولا فِقه لهم ولا علم، و إِنَّمَا هم صور بلا أحلام وأشباح بلا عقول.[١٠٦]

نجد ان كلمة خُشُب هي جمع تكسير على وزن (فُعُل)، وبين فائها وعينها تماثل حركي بأثقل الحركات (الضَّمّ)، وعندما قُرئت بالتخفيف حافظت على التماثل الحركي ولكنه بالفتح، ولم تتغير دلالتها.

ويمكن تمثيل التحول صوتيًا كما يلي:

ḥa| ša| bun

خُشُبٌ خَشَبٌ

المبحث الثالث: التَّناوب بين المفتوح والمكسور:

أولاً: فتح المكسور:

إن الانتقال من بناء (فَعِل) إلى بناء (فعَل) هو تحوّل من الصَّائت متوسط الخفة (الكسرة) إلى أخف الصوائت (الفتحة)، ميلًا إلى السهولة والتيسير، ويحافظ البناء على مقاطعه الصوتية نفسها إلا أن كسرة عين (فَعِل) تُبدل فتحة، من خلال التماثل الحركي مع حركة فائه؛ ويصبح النمط الجديد كما يلي:

a| lun > fa| >fa| lun

فَعِلٌ فَعَلٌ

ومع هذا التحول فان الكلمة تحافظ على دلالتها المعنوية، وقد ذهب ابن السكيت إلى أن بناءي:(فَعِل) و(فَعَل) بمعنى واحد، نحو: ثَغْر رَتِل ورَتَل، وَفَرس عَتَد وعَتِد وهو الشديد التام

[١٠٥] المرجع نفسه، ٣٩٦/٢٣

[١٠٦] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٣٩٦/٢٣

الخَلْق، ويقال: كَتَد وكَتِد إذا كان مجتمع الكتفين[١٠٧]، يدلُّنا قوله عَلَى أنَ البناء اختلف، والمعنى مشترك.

ومن الشواهد التي وردت في القراءات القرآنيّة (رَدِفَ) في قوله تعالى: قُلْ عَسَى أنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ .[١٠٨]

قرأ الجمهور (رَدِفَ) بكسر الدال، وقرأ ابن هرمز بفتحهما[١٠٩] على وزن ذَهَب، ومعنى (رَدَف) لغة: أي تبع[١١٠]، وذكر الزمخشري أنه" لا يخلو مكسور الدال أن يكون بمعنى مُتَّبعين أو مُتَّبِعين).[١١١]

وإبدال كسرة الدال فتحة هو مشاكلة للصوائت، فالانتقال من الكسر إلى الفتح فيه نقل اللسان من قاع الفم عند نطق الفتحة[١١٢] إلى منطقة أمامية حيث الكسرة حركة أمامية منغلقة وأكثر تقدمًا [١١٣].

أما إذا تم تحريك الدال بالفتح فهذا يعني أن يبقى اللسان في مكانه وتكون عملية النطق أيسر.

نجد أن نواة المقطع الأوّل (الفتحة) أثرت في حركة الصامت الذي يليها وهي الكسرة فخضعت لقانون صوتي هو المماثلة المقبلة الكلية.

ويمكن تمثيل ذلك صوتيًا كما يلي:

ra| da| fa ⟵ ra| di| fa

وقراءة الكلمة بفتح الراء أو بكسرها لا يخرج عن اختلاف اللهجات بين بعض القبائل العربية، وعدّ بعضهم القراءة بالكسر أجود، يقول الزمخشري والكسر أفصح، وهما لغتان.[١١٤]

ثانياً: كسر المفتوح

إن التعاقب بين حركتي الفتحة والكسرة يعد نمطًا من أنماط اختلاف اللهجات، وتحوّل بناء(فَعَل)

---

[١٠٧] ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص١٠٠
[١٠٨] سورة النمل: ٧٢
[١٠٩] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير ٩٥/٧
[١١٠] الزمخشري، الكشاف، ١٢/١٢
[١١١] المرجع نفسه، ١٩١/٢
[١١٢] بشر، كمال، علم الأصوات اللغوية، ص٤٤٥
[١١٣] شاهين،عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٥٣
[١١٤] الزمخشري، الكشاف، ١٢/١٢.

بفتح العين إلى بناء (فَعِل) بكسرها هو انتقال من الصَّائت الخفيف إلى الصَّائت متوسط الخفة، فتحولت الصوائت من التماثل الحركي إلى التغاير والتنوع فيها، وهو ما يعرف بالمخالفة الصوتية.

ويمكن توضيح ذلك من خلال الكتابة الصوتية، كما يلي:

a| lun >fa| ⟸ i| lun>fa|

فَعَلٌ فَعِلٌ

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا [١١٥]﴾

قرأ عاصم وحمزة[١١٦] ونافع وأبو بكر (حَرِجًا) بكسر الراء، مثل (دَنِف)[١١٧]، ووافقهم ابن محيصن والحسن[١١٨]، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي[١١٩] والباقون (حَرَجًا) بفتحها[١٢٠] . وذكر ابن منظور أن الحَرَج يعني: الضيق. [١٢١]

قال ابن عباس وهو في كسره ونصبه بمنزله الفَرَد والفَرِد والدَّنَف والدَّنِف، وذكر الزجاج أن الحَرَج تعني: أضيق الضيق.[١٢٢]

وتجدر الإشارة إلى أن معنى الكلمة لا يختلف بكسر الراء أو فتحها ونستدل بقول يونس: الحَرِج والحَرَج لغتان، معناهمّا: الضيق[١٢٣]، وذكر ابن السكيت أن (فَعِل وفَعَل) بمعنى واحد نحو ما ذكره الفراء: ذهبت غنمك (شِذَر مِذَر) و (شَذَر مَذَر).[١٢٤]

وأرجح أن الأصل (حَرَجًا) بفتح الراء؛ لِأَنَّهَا مصدر على وزن (فَعَل)، ونستدل برأي أبي علي الفارسي حيث يقول: ومن فتح الراء كان وصفًا بالمصدر.[١٢٥]

ويعضده تعليل الزجاج لكلمة (حَرَجا) في الآية الكريمة السابقة: بأن حَرَجًا مصدر وُصِف به، نحو:

---

[١١٥] سورة الأنعام: ١٢٥
[١١٦] الفارسي، أبو علي الحسن، الحجة للقراء السبعة، ٤٠١/٣
[١١٧] الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص٢١٦
[١١٨] االفراء، معاني الْقرآن ٣٨٤/١
[١١٩] الفارسي، أبو علي الحسن، الحجة للقراء السبعة ٤٠١/٣
[١٢٠] الأزهري، معاني الْقرآن، ٣٨٤/١
[١٢١] ابن منظور، لسان العرب ٧٥/٤
[١٢٢] ابن منظور، لسان العرب ٧٥/٤
[١٢٣] الأزهري، معاني الْقرآن ٣٨٤/١.
[١٢٤] ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص١٠٣ .
[١٢٥] الفارسي، أبو علي الحسن، الحجة للقراء السبعة، ٤٠١/٣.

رَجُلٌ عَدْلٌ ورِضا.[١٢٦]

والتغير الذي طرأ على اللفظ هو إبدال الفتحة كسرة، نتج عنه تنوع بالصوائت في بنية الكلمة، ونشأ نمط جديد كما يلي:

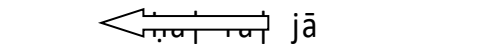

حَرَجا حَرِجا

المبحث الرابع: الكلمات المثلثة:

قد تتعاقب الصوائت القصيرة الثلاثة على صامت بعينه في كلمة واحدة، ويعرف هذا النوع بالكلمات المثلثة، واهتم بها علماؤنا القدماء، لذا فإننا نجد تراثنا اللغوي يحوي كتبًا متعددة في هذا المجال، ولعل أشهرها كتاب المثلث في اللغة لابن سيد البطليوسي.

وقد عني العلماء القدامى والمحدثون بأهمّية التشكيل الصوتي الناتج بفعل تبادل الصوائت القصيرة على البناء نفسه وتشكيل أبنية جديدة مختلفة.

إن المغايرة بين الصوائت يؤثّر على تغير الضبط الداخلي لبنية الكلمة، إلّا أن هذه التغير لا يؤدي إلى اختلاف في المعنى، وتحافظ الكلمة على دلالتها المعنوية.

وهذا التعاقب يدخل ضمن تنوع اللهجات لدى القبائل العربية، فالكلمة يروى فيها ثلاثة أوجه أدائية صوتية مختلفة، بين ضم وفتح وكسر تتناوب على صامت معين، وما يعنينا هو تعاقب هذا الصوائت على عين الاسم الثلاثي دون فائه أو لامه؛ ومن نتائج هذا التعاقب الذي تستعين به اللغة هو التنوّع في الأداء الصوتي للفظ الواحد بما يتناسب مع اختلاف أذواق الناطقين باللغة.

ونذكر من الشواهد الْقرآنيّة الكريمة ما يلي:

ومن ذلك قوله تعالى: وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا. [١٢٧]

قرأ عيسى (عَضْدا) بسكون الضاد خفيفًا، كما قالوا: رَجْل وسَبْع في(رَجُل) وسَبُع، وهي لغة

[١٢٦] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن، ٨٢/٧.
[١٢٧] سورة الكهف:٥١

تميمية[١٢٨]. وقرأ الجحدري ويزيد القعقاع والحسن[١٢٩] بفتحتين، ورُوي عن بعضهم بفتح العين وكسر الضاد(عَضِد)[١٣٠]، وهناك من قرأ(عُضُدا) بِضمَّتيْنِ منهم شيبة وأبو عمرو في رواية هارون وخارجه.[١٣١]

ونلاحظ أنها قرئت (عَضُدا) بضم الضاد، و(عَضَدا) بفتحها، و(عَضِدا)بكسرها.

والعَضُد لغة القوة؛ لأن الْإِنسان إنما يقوى بعَضُده؛ لذا سميت القوة به[١٣٢]. وفسَّر الزجاج معناها في الآية السابقة بأن الإعضاد هو التَقوِّي وطلب المعونة.[١٣٣]

وفي ذلك يقول الأحرد:

مَنْ كَان ذَا عَضُدٍ تُدْرَكُ ظَلَامَتُهُ إن الذّليلَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عَضُدُ[١٣٤]

وأميل إلى أن الأصل بضم الضاد، ولكن القراءة بحذف الضَّمّ تخفيفًا هي لغة تميم- كما أشرنا سابقًا- أما القراءة بفتح وكسر(كَكَتِف) فهي لغة أهل الحجاز[١٣٥]، أما من قرأ بفتحتين أو بِضمَّتيْنِ فإنما أرادوا التماثل الصوتي في الصوائت.

وربما أوحى لنا قانون المماثلة الصوتية دليلًا عَلَى أنَ أصل الكلمة بفتح وضم، ويمكن أن يكون هذا من جانبين:

- المماثلة الصوتية بالفتح (عَضَد (بما أن حركة الفاء فتحة فقد أثرت في ضمة العين فحولتها فتحة مشابهة لها عن طريق المماثلة المقبلة الكلية.
- المماثلة الصوتية بالضَّمّ (عُضُد(، وبما أن حركة العين ضمة، فان قانون المماثلة الصوتية لعب دوره في التأثير على حركة الفاء فحوَّل حركة الفتحة إلى ضمة وهذا ما يسمى بالمماثلة المدبرة الكلية.

---

[١٢٨] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ١٣٧/٦
[١٢٩] ابن خالويه، مختصر شواذ القراءات ص٨٤
[١٣٠] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير ١١٨/٧
[١٣١] المرجع نفسه، ٦/ ١٣٧
[١٣٢] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ١٩٠/١
[١٣٣] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير ١٢٥/٦
[١٣٤] الزبيدي، تاج العروس، ٣٨٤/٨.
[١٣٥] المرجع نفسه، ٣٨٤/٨

ومن الملاحظ أن تغيّر الضبط الحركي لعين الكلمة أنشأ أبنية جديدة:

- عَضُدا (بضم وفتح) ⇐ فَعُلا < a|ḍu|dā
- عُضُدا (بِضمَّتيْنِ) ⇐ فُعُلا u|ḍu|dā>
- عَضَدا (بفتحتين) ⇐ فَعَلا < a|ḍa|dā
- عَضِدا (بفتح وكسر) ⇐ فَعِلا a|ḍi|dā >
- عَضْدا (بفتح وتسكين) ⇐ فَعْلا aḍ|dā>

إذا تأملنا التحليل الصوتي للكلمة الأصلية (عَضُدا)، نجد أنها تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة متحركة، وكذلك الحال بالنسبة للأنماط الثلاثة التي تليها، وهذا يعني أن تعاقب الفتح أو الكسر لم يحدث أثرًا في الجرس الصوتي بدليل تطابق المقاطع وانسجامها.

أما تخفيف الحركة أو حذفها فان نمطًا جديدًا يتولد مختلفًا عما سبقه، يتألف من مقطعين مختلفين أحدهما قصير مغلق بصامت وثانيهما مقطع قصير مفتوح، ومع هذا كله فان الدلالة المعنوية للكلمة بقيت ثابتة لم تتغير.

قال تعالى:﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [١٣٦].

قرأ الجمهور (حَرَضا) بفتح الراء والحاء[١٣٧] قرأ الحسن(حُرُضًا) بِضمَّتيْنِ ، نحو رَجُل (غُرُب)[١٣٨]، وذكر أبو حيان انه يقال فيها حَرِضَ بكسر الحاء وحَرَضًا بفتحهما[١٣٩]، وقرأت فرقة (حُرْضًا) بضم الحاء وسكون الراء .[١٤٠]

قيل: رجل حَرِض وحَرَض، أي لا يُرجى خيره ولا يخاف شره[١٤١]، وذكر ابن فارس أنها تعني الرجل

---

[١٣٦] سورة يوسف:٨٥
[١٣٧] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ٢٨٠/٣
[١٣٨] الزمخشري، الكشاف، ٤٧٠/٢، وانظر الجامع ٢٥١/٩
[١٣٩] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ٣٢٤/٥
[١٤٠] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ٢٨٠/٣
[١٤١] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ١٢٤/٣

الذي لا يتخذ سلاحًا ولا يقاتل[١٤٢]، وذهب الزبيدي إلى أنها الفساد الذي يكون في البدن، وفي المذهب وفي العقل.[١٤٣]

وتجمع كلمة (حَرِضَ) على (حَرِضون)[١٤٤]، حيث يستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع؛ لِأَنَّهَا مصدر.[١٤٥]

ودلالة الكلمة قريبة في المعاجم جميعها، وإلى ذلك ذهب البغوي في تفسيرها ضمن سياق الآية السابقة (الحَرَض): ما دون الموت، أي قريبًا من الموت.[١٤٦]

ونرجِّح أن يكون الأصل في الشاهد بفتحتين، يقول ابن منظور:" الحَرَض هو الذي

أذابه الحُزن أو العشق"[١٤٧]، هذه التحولات لا تخرج عن اختلاف اللهجات وتنوع الألسنة.

ويمكن تمثيل التطور صوتيًا بنمطيه المختلفين كما يلي:

ḥu| ru| ḍā حُرُضا

ḥa| ra| ḍā

ḥa| ri| ḍā حَرِضا

ومن ذلك قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ.[١٤٨]﴾

ذهب عامة القراء على قراءة (البُخْل) بضم الباء وسكون الخاء، وقرأ انس وعبيد بن عمرو ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيص [١٤٩]وحمزة والكسائي [١٥٠] وعامة أهل الكوفة (بالبَخَل) [١٥١] وقيل: إنها لغة الأنصار[١٥٢]. وقرأ نصر بن عاصم البُخُل بِضمَّتيْنِ[١٥٣]، وذكر ابن عطية الأندلسي

---

[١٤٢] المرجع نفسه، ١٢٥/٣
[١٤٣] الزبيدي، تاج العروس، ٢٨٤/٨
[١٤٤] ابن منظور، لسان العرب، ١٣٤/٧
[١٤٥] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن، ٢٥٠/٩، وانظر البحر المحيط في التفسير، ٣٢٥/٥
[١٤٦] البغوي، معالم التنزيل في سور القرآن ٥٠٩/٢، وانظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ١٢٤/٣
[١٤٧] ابن منظور، لسان العرب، ١٣٤/٧
[١٤٨] سورة الحديد، ٢٤
[١٤٩] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن، ٢٥٩/١٧
[١٥٠] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ٢٤٩/٢
[١٥١] الطبري، جامع البيات في تأويل القرآن ٣٥١/٨
[١٥٢] القرطبي، الجامع لأحكام الْقرآن ٢٥٩/١٧

أنها كلها لغات مشهورة.[١٥٤]

وذكر الزبيدي أن البَخِل كَكَتِف لغة في البُخْل.[١٥٥]

ونرجِّح أن الأصل هو (البُخْل) بسكون الخاء بدليل ما ذكره الليث في معنى الشح انه البُخْل (بالتخفيف) وهو الحِرْص[١٥٦]. وعليه كانت قراءة العامة بضم الفاء وتسكين الخاء.

ربما كانت حجة من قرأ بالتثقيل انه أراد الانسجام الصوتي من خلال مماثلة حركة عين الكلمة بفائها وهو ما يعرف بالمماثلة المقبلة المتصلة، أما من قرأ بفتح الباء والخاء فطلبًا للخفة في النطق؛ لأن بناء(فَعَل) أسرع نطقًا وأيسر لفظًا من بناء (فُعُل) بِضمَّتيْنِ متواليتين، فتحول البناء الأصلي إلى أنماط أخرى هي:

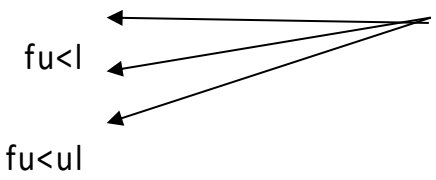

fa<il

وقال بعضهم البَخَل كالكَرَم، والبُخْل كالفُقْر.[١٥٧]

ولكلمة البُخْل نظائر متعددة، منها: الرُّشْد والرَّشَد [١٥٨] والحُزْن والحَزَن[١٥٩] والحُسْن والحَسَن [١٦٠].

وذكر القرطبي أنها كلها لغات مشهورة.[١٦١]

---

[١٥٣] الزبيدي، تاج العروس، ٦٣/٢٨

[١٥٤] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٥٢/٢

[١٥٥] الزبيدي، تاج العروس، ٣١٧/٩

[١٥٦] الأزهري، تهذيب اللغة، ٢٥٥/٣ ،

[١٥٧] الدمياطي، الإتحاف، ٢٤٧/١

[١٥٨] محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ٢٤٩/٢

[١٥٩] الدمياطي، الإتحاف ٢٤١/١

[١٦٠] القيسي، مكي ابن أبي طالب، الكشف، ٢٥٠

[١٦١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٩/١٧

بضم فسكون al| bu̲h| li ← ~~al| bu| hu| li~~

تماثل حركي (بالفتح) li |al| ba| ha̲ ←

بفتح فكسر al| ba| hi̲| li ←

ومن ذلك قوله تعالى﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ [١٦٢]﴾

قرأ الجمهور كالقَصْر بسكون الصاد، وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم (كالْقَصَرِ) بفتح القاف والصاد[١٦٣]، وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة والنخعي (كالقُصُرِ) برفع القاف والصاد جميعًا[١٦٤]، وبعض القراء بفتح الراء وكسر الصاد (كالْقَصِر).[١٦٥]

والقَصْر واحد القصورة[١٦٦]، وفسّرها الزمخشري أن كل شررة كالْقَصْر من القصور في عظمها.[١٦٧]

ولعل علة تحريك عين (القَصْر) فلإحداث الإيقاع الصوتي مع الكلمة التي تسبقها(بِشَرَرٍ)، حيث تبدأ بثلاثة مقاطع قصيرة متحركة وتنتهي بمقطع واحد قصير مغلق بصامت.

(بِشَرَر) bi| ša| ra| rin

3 1 1 1

أما كلمة (كالقَصْر) kal| ḳas| ri

1 3 3

فإنَّهُا تبدأ بمقطعين قصيرين مغلقين بصامتين وتنتهي بمقطع واحد قصير.

ويبدو أن الكلمتين متباينتان من حيث تركيب المقاطع الصوتية لذا فإن تحريك الصاد في كلمة

---

[١٦٢] المرسلات: ٣٢

[١٦٣] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ٣٩٨/٨

[١٦٤] ابن الجوزي، زاد الميسر في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٣٨٥/٤

[١٦٥] الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ٤٠٧/٨

[١٦٦] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وتاج العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ٧٩٢/٢

[١٦٧] الزمخشري، الكشاف، ٦٨١/٤

(القَصْر) من شانه أن يؤلّف بين النغم الموسيقي بغض الطرف عن نوع الصَّائت؛ بدليل أنها قرئت بالفتح والضَّمّ والكسر. أما النمط الجديد الذي تكون فإنَّهُ مطابق لمقاطع شَرَرٍ، دون الالتفات إلى ترتيب نوع مقطع البداية أو النهاية في كل كلمة ويمكن تمثيلها وفق الحركة التي قرئت بها.

- بالضَّمّ kal| ku| su| ri

1 1 1 3

- بالفتح kal| ḳa| sa| ri

1 1 1 3

- بالكسر kal| ḳa| si| ri

1 1 1 3

وإذا ما تمت مقارنة هذه المقاطع ب كلمة (شَرَر) لمسنا التوافق والانسجام.

bi| ša| ra| rin

3 1 1 1

فأصبح تركيب كل كلمة يتألف من ثلاثة مقاطع قصيرة متحركة ومقطع واحد مغلق بصامت، ولكن الاختلاف ما زال يكمن في ترتيب المقاطع لبنية كل كلمة منهما. وهذا من شانه أن يكوِّن تآلفاً صوتياً .